

واجب العالم الإسلامي.. «الحضارة الإسلامية الحديثة»

المكان: طهران . حسينية الإمام الخميني (ره)

المناسبة: مولد الرسول الأكرم (ص) وأسبوع الوحدة الإسلامية

الحضور: مدراء البلاد وضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية العالمي

الزمان: ٨/١٠/١٣٩٤ ش. ١٧/٣/١٤٣٧ هـ. ٢٩/١٢/٢٠١٥ م.

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

أبارك لكم أيها الحضور الكرام الأعزاء مسؤولو البلاد وضيوف مجمع الوحدة الإسلامية وسفراء البلدان الإسلامية المحترمون الحاضرون في هذا اللقاء، الولادة السعيدة لرسول الإسلام الأكرم (ص) وابنه الجليل الإمام الصادق (عليه السلام). كما أبارك هذه الذكرى لكل الشعب الإيراني ولكل الأمة الإسلامية ولكل الأحرار في العالم والذين يثمنون الفضيلة والأخلاق والجد والجهاد في سبيل الفضيلة والأخلاق.

ولادة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكذلك بعثته كانت روحاً نفخت في جسد العالم الميت يومذاك. كان ذلك العالم حياً في ظاهره، فقد كانت الحكومات والملكيات والمساعي والنشاطات جارية، ولكن كان في ذلك العالم موت إنسانية وموت الفضيلة. ما كان قائماً هو الجفاء والظلم والتمييز والقسوة، وقد كانت الفضائل ميتة وقد بث الرسول الأكرم هو نفسه ودعوته الروح في ذلك العالم. وحين أقول هو ودعوته فلأن الرسول الأكرم (ص) نفسه كان تجسيداً للإسلام. يروى عن زوجة رسول الإسلام المكرمة أنها قالت: "كان خلقه القرآن" (٢) أي إنه كان قرآناً مجسداً. لقد بث الرسول ودينه روحاً في ذلك العالم الميت. ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (٣) كانت حياة ما جاء به للناس في ذلك الزمان وعالمهم المظلم المحفوف بالموت والآفات.

أنا وإياكم نحیی اليوم هذه الذكرى العزيزة. إحياء هذه الذكرى بالألسن وبالاجتماع حول بعضنا عمل محمود محبذ، لكن هذا ليس ذلك الشيء المتوقع مني وإياكم ممن ندعي السير على خطى الإسلام والرسول (ص)، فهذا لا يكفي. يجب أن نكون في صدد بث روح في العالم الميت اليوم، العالم الذي يعاني من الآفات. اليوم أيضاً يعاني العالم من الظلم والقسوة والتمييز. اليوم أيضاً يعد موت الفضيلة مآثم البشر الكبير. الفضائل تقمع بواسطة أدوات القوى المادية، والعدالة تقمع، والإنسانية والأخلاق تقمع، ودماء البشر تسفك على الأرض بلا وازع على يد الأقوياء. والشعوب تقضي نحبها جوعاً بسبب تعرضها لنهب القوى الكبرى. هذا هو وضع العالم اليوم. وهذا يشبه تلك الجاهلية التي كانت في فترة ما قبل ظهور الإسلام، هذه أيضاً جاهلية.

ليس واجب الأمة الإسلامية اليوم مجرد إقامة الاحتفالات بمناسبة ذكرى ولادة الرسول (ص) أو بعثته، فهذا عمل صغير وقليل بالنسبة لواجبات الأمة الإسلامية. من واجب العالم الإسلامي اليوم أن يسير على خطى الإسلام والرسول الأكرم (ص) في بث روح في هذا العالم، وتوفير أجواء جديدة فيه، وفتح درب جديد فيه. ونحن نطلق على هذه الظاهرة التي نتوقعها ونتظرها اسم «الحضارة الإسلامية الحديثة». يجب أن نسعى وراء الحضارة الإسلامية الجديدة للبشرية، وهذا يختلف اختلافاً أساسياً عما تفكر وتعمل به القوى بشأن الإنسانية. هذا لا يعني احتلال الأراضي والبلدان والاعتداء على حقوق الشعوب ولا يعني فرض أخلاق وثقافة الذات على الشعوب الأخرى، بل هو بمعنى عرض الهدية الإلهية على الشعوب، لتختار الشعوب بحريتها واختيارها وتشخيصها الطريق الصحيح. الطريق الذي تجرّ القوى العالمية الشعوب نحوه اليوم طريق خطأ وضلال. هذا هو واجبنا اليوم.

ذات يوم استطاع الناس في أوروبا، بفضل علوم المسلمين وفلسفتهم، تأسيس حضارة لأنفسهم. تلك الحضارة كانت طبعاً حضارة مادية. بدأ الأوروبيون من القرن السادس عشر والسابع عشر للميلاد بإرساء أسس حضارتهم الجديدة، ولأنها كانت مادية فقد استخدموا مختلف الوسائل بلا وازع، فاتجهوا من ناحية صوب الاستعمار ونحو التغلب على الشعوب ونهب ثرواتها، ومن ناحية أخرى عززوا أنفسهم في الداخل بالعلم والتقنية والتجربة، وسوّدوا هذه الحضارة على عالم الإنسانية. هذا ما فعله الأوروبيون طوال أربعة أو خمسة قرون. هذه الحضارة التي عرضوها على العالم قدّمت تجليات جميلة من التقنية والسرعة والسهولة وأدوات الحياة، لكنها لم توفر للإنسانية السعادة ولم تقيم لهم العدالة، بل على العكس طعنت العدالة على رأسها، وضربت الأغلال والأسر على الشعوب، وأفقرت الشعوب وأهانتهم، وراحت تعاني في داخلها أيضاً من التضاد والتعارض، ففسدت من الناحية الأخلاقية، وصارت خاوية عبثية من الناحية المعنوية. والغربون أنفسهم يشهدون اليوم بذلك. قال لي سياسي غربي بارز إن عالمنا عالم عبثي فارغ، وهذا ما نشعر به. كان على حق فهذه الحضارة الظاهرية المليئة بالبهجة والبريق لها باطن خطير على البشرية. تعارضات وتناقضات الحضارة الغربية راحت تفصح عن نفسها اليوم، في أمريكا بشكل، وفي أوروبا بشكل، وفي المناطق الخاضعة لهيمنتهم في كل أرجاء العالم بشكل.

وقد حان الدور لنا اليوم، لقد حان الدور للإسلام اليوم. ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (٤)، الدور اليوم هو للمسلمين كي يرسوا بهمهمهم أسس الحضارة الإسلامية الحديثة. كما استفاد الأوروبيون يومذاك من علوم المسلمين وتجاربهم وفلسفتهم، نستفيد نحن أيضاً اليوم من علوم العالم والأدوات الموجودة في العالم لإقامة الحضارة الإسلامية، ولكن بروح إسلامية وبروح معنوية. هذا هو واجبنا اليوم.

هذا على العموم خطاب لعلماء الدين والمتقنين الحقيقيين. ولم يعد لي أمل يذكر بالسياسيين. في السابق كان التصور أن السياسيين في العالم الإسلامي يستطيعون المساعدة في هذا الطريق، لكن هذا الأمل آل

إلى الضعف للأسف. أملنا اليوم بعلماء الدين في كل أنحاء العالم الإسلامي وبالمتقنين الحقيقيين الذين لا يعتبرون الغرب قبلتهم. الأمل بهم، وهذا شيء ممكن. لا يقولوا إن هذا الأمر غير ممكن، فهو ممكن ومتاح عملياً. للعالم الإسلامي أدوات كثيرة: لدينا عدد جيد من السكان، ولدينا أراض جيدة، وموقع جغرافي بارز، ومصادر طبيعية كثيرة في العالم الإسلامي. لدينا طاقات إنسانية موهوبة ومبرزة في العالم الإسلامي إذا ربيناها على الاستقلال وفق تعاليم الإسلام فسيمكنها عرض إبداعاتها الفنية على صعد العلم والسياسة والتقانة ومختلف الصعد الاجتماعية.

الجمهورية الإسلامية نموذج، وهي منطقة اختبار وامتحان للعالم الإسلامي. قبل أن يسود الإسلام على هذا البلد كنا شعباً متخلفاً بكل معنى الكلمة، وكنا تابعين ومتأخرين من الناحية العلمية ومن الناحية السياسية ومن الناحية الاجتماعية، وكنا معزولين في عالم السياسة. وحالات التقدم في الجمهورية الإسلامية اليوم فرضت الاعتراف حتى على أعدائنا. اليوم بعد مضي ٣٥ عاماً على انتصار الثورة الإسلامية صرنا في عداد البلدان المتقدمة من حيث الرتبة العلمية والتقنية وفي الكثير من العلوم الحديثة في العالم. التقارير التي ثبت صدقها وواقعها تقول لنا إننا في بعض المجالات في المرتبة السابعة، وفي مجال آخر في المرتبة السادسة، وفي موضوع آخر في المرتبة الخامسة. لقد استطاع شعب إيران بفضل الإسلام التعبير عن هويته وشخصيته، وهذا ممكن التعميم، لكن شرطه أن لا تخيم الظلال المقيتة الثقيلة للقوى الكبرى على البلدان، هذا هو الشرط الأول. ولهذا طبعاً تكاليفه وما من عمل كبير دون تكاليف. أريد في هذا اللقاء المهم الرصين الذي تحضره شخصيات مهمة وكبيرة أن أقول إن الأمة الإسلامية تستطيع بسعي وجدّ جهادي أن تخطط لحضارة إسلامية متناسبة مع هذا العصر، وتأسيسها وتتميرها وعرضها على البشرية.

إننا لا ندعو أحداً إلى الإسلام بالقوة، ولا نخضع أي بلد لهيمنة العالم الإسلامي بالقوة، إننا لا نعمل كما عمل الأوروبيون، ولا نعمل كما عملت أمريكا. سار الأوروبيون من جزيرة بجوار المحيط الأطلسي نحو المحيط الهندي فاحتلوا بلداً عظيماً مثل الهند وعدة بلدان حوالية بالقوة ونهبوها وصاروا هم أنفسهم أثرياء وتركوا تلك البلدان تتلوى في تراب البؤس. هكذا تقدموا. واليوم أيضاً يقومون بنفس الشيء بأساليب وطرائق أخرى في العالم، بأموال الآخرين وبأرصدة الآخرين وبشروات الآخرين وبشمار جهد الآخرين يحققون التقدم لأنفسهم ويحملون أنفسهم وظواهرهم، وبالطبع فإن الباطن يسير نحو الخراب والتفسخ، فكما قلنا إنهم سائرون نحو مزيد من الفراغ. ما تكتسبونه أنتم المسلمين سوف يثير انزعاج أعدائكم، وما تصيبكم من مصائب تفرحهم وتسرههم، ﴿إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ (٥)، هكذا هم، وهذا كلام القرآن. يجب أن لا ننظر لهم ولما في أيديهم ولا بتساماتهم

وعبوسهم، بل ينبغي أن نجد طريقنا ونتحرك ونتقدم إلى الأمام. هذا هو واجبنا وواجب كل العالم الإسلامي.

من أدوات الأعداء بث التفرقة بيننا، إنني أصرّ على التأكيد والتشديد على هذا الموضوع. أيها الإخوة والأخوات، يا مسلمي العالم الإسلامي إذا وصل أسمعكم هذا الصوت! يوم ظهرت كلمة السنة والشيعية في أدبيات الأمريكيين، شعرنا بالقلق، وقلق كل أصحاب الخبرة والرأي. ما علاقة السنة والشيعية بأمریکا؟ السياسي اليهودي الصهيوني الأمريكي الفلاني الذي لا يمكن أن يصدر عنه سوى الشر ضد الإسلام والمسلمين، ما شأنه حتى يتحدث ويقيم بين السنة والشيعية في العالم الإسلامي، فيقول شيئاً عن السنة ويقول شيئاً عن الشيعة؟ منذ أن ظهرت أدبيات السنة والشيعية في كلام الأمريكيين، قلق أهل الفهم والتدقيق هنا، وأدركوا أن أمراً جديداً على أعتاب التنفيذ. لإشعال الحروب بين الشيعة والسنة سوابقه، والبريطانيون ماهرون في هذه العملية. لدينا الكثير من السوابق ولدينا الكثير من المعلومات عن سوابق خلق نزاعات واختلافات وأحقاد بين السنة والشيعية على يد عملاء البريطانيين - سواء هنا أو في الدولة العثمانية السابقة أو في البلدان العربية - من أجل أن يوقعوا بينهم، بيد أن الخطة التي يحملها الأمريكيون اليوم خطة خطيرة. هل التحيز لفرقة مقابل فرقة أخرى داخل العالم الإسلامي، شيء يفرحنا؟ إذا تحيزوا لنا هل يجب أن نكون فرحين مرتاحين؟ لا، يجب أن يملكنا الهم وينبغي أن نبحث عما وجدوه فينا من نقاط ضعف حتى صاروا يريدون استغلال نقاط الضعف تلك، ويبدون التحيز والمناصرة لنا؟

إنهم يعارضون أساس الإسلام. واقع القضية هو ما ذكره رئيس جمهورية أمريكا في حينها في قضية الحادي عشر من سبتمبر في نيويورك وانفجار الأبراج، حيث قال إنها حرب صليبية، كان على حق، لقد كان إنساناً سيئاً لكن كلمته هذه كلمة صادقة: معركة بين الإسلام والاستكبار. طبعاً هو قال المسيحية والحرب الصليبية، لكنه يكذب، فالمسيحيون داخل العالم الإسلامي يعيشون بكامل الأمن، وهكذا هم اليوم أيضاً في بلادنا، وكذلك هم في بعض البلدان الأخرى، كان يقصد المعركة بين القوى الاستكبارية والقوى المهيمنة على العالم وبين الإسلام، هذا كان صحيحاً، هذا الكلام كان كلاماً صادقاً. هؤلاء السادة الذين يحكمون أمريكا الآن ويقولون إننا مع الإسلام، ونحن نعارض الفرقة الإسلامية الفلانية ونعارض الفرقة الإسلامية العلانية، يكذبون وينافقون ويرأؤون. إنهم يعارضون أساس الإسلام ووجدوا أن السبيل هو خلق معارك والحروب بين المسلمين.

ذات يوم طرحت هذه الخلافات بعناوين القومية الإيرانية والقومية التركية والقومية العربية وما إلى ذلك، ولم تكن فاعلة بدرجة كبيرة، واليوم يريدون بث الخلافات باسم المذاهب والإيقاع بين الشباب وإشعال معارك والاقتتال بينهم. وستكون النتيجة ولادة فرق إرهابية مثل داعش بأموال التابعين لأمريكا وبمساعدة

سياسية من أمريكا وبمواكبة من حلفاء أمريكا، وتوفير إمكانية العمل والنشاط لها، وخلق هذه الفجائع في العالم الإسلامي، ستكون هذه هي النتيجة.

إنهم يكذبون حين يقولون إننا نعارض الشيعة ونوافق السنة، كلا، هل الفلسطينيون شيعة أم سنة؟ لماذا يعادون الفلسطينيين لهذه الدرجة؟ لماذا لا يتعرضون أبداً للجرائم التي ترتكب ضد الفلسطينيين؟ كم قصفت غزة؟ كم تعرضت أراضي الضفة الغربية للضغوط وتعرض للضغوط الآن أيضاً؟ أولئك ليسوا بشيعة، بل سنة. القضية بالنسبة للأمريكيين ليست قضية شيعة وسنة، بل هم يعتبرون أي مسلم يريد أن يعيش بالإسلام وبأحكام وقوانين الإسلام ويجاهد لأجلها ويعمل في سبيلها، يعتبرونه عدوهم.

أجروا حواراً مع سياسي أمريكي فسأله المحاور: من هو عدو أمريكا؟ فأجاب إن عدو أمريكا ليس الإرهاب، وليس المسلمون هم أعداء أمريكا، بل عدو أمريكا هو «النزعة الإسلامية»، النزعة الإسلامية. أي طالما كان المسلم غير مكترث، ويذهب ويعود في دربه، وليست فيه محفزات تجاه الإسلام، فهم لا يشعرون بالعداء ضده، ولكن حين تكون القضية قضية نزعة إسلامية والتزام وتقيد بالإسلام وسيادة الإسلام وتأسيس تلك الحضارة الإسلامية، ستبدأ العداوات. وقد صدق في قوله فعدوه هو النزعة الإسلامية. لذلك حينما تقع في العالم الإسلامية صحوة إسلامية تلاحظون كم يتخبطون ويسعون ويعملون من أجل القضاء عليها وإجهاضها، وينجحون في بعض الأماكن. طبعاً أقولها لكم إن الصحوة الإسلامية ليست مما يمكن القضاء عليه، والصحوة الإسلامية ستصل إن شاء الله وبفضل من الله وبحوله وقوته إلى أهدافها.

هدفهم إشعال حرب داخلية بين المسلمين، وقد نجحوا للأسف إلى حد ما. إنهم يدمرون البلدان الإسلامية الواحد تلو الآخر - يدمرون سورية ودمرون اليمن ودمرون ليبيا - ويقضون على بناها التحتية، لماذا؟ لماذا نستسلم لهذه المؤامرات؟ لماذا تبقى أهدافهم غير معروفة بالنسبة لنا؟ لتحلّ بالبصيرة، إذا أردنا أن ننجح في هذا الطريق يجب أن نتوفر على البصيرة. يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام): «ألا ولا يحمل هذا العلم إلا أهل البصير والصبر» (٦). يجب التحلي بالبصيرة والصبر في هذا الدرب. ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ (٧). إذا سرنا ببصيرة وصبر واستقامة فلن نثمر مساعيهم، ولكن عندما نتحدث مثلما يتحدثون ونعمل مثلما يعملون، فستكون هذه هي النتيجة.

لماذا يعرضون المسلمين في البحرين لكل هذه الضغوط؟ وفي نيجيريا لماذا يرتكبون تلك الفاجعة ضد ذلك الشيخ المصلح التقريبي المؤمن (٨) ويقتلون حوالي ألف شخص من الناس المحيطين به، ويقتلون ستة من أبنائه خلال سنتين؟ لماذا يبقى العالم الإسلامي ساكناً حيال هذه الفجائع؟ لماذا يتحمل العالم الإسلامي قرابة سنة من القصف الدائم لليمن؟ قرابة سنة - عشرة أشهر ونيف - وبيوت الشعب اليمني ومستشفياته ومدارسه وطرقه وأبناؤه الأبرياء ونساؤه ورجاله تحت القنابل، لماذا؟ هل هذا لصالح العالم

الإسلامي؟ في سورية بشكل، وفي العراق بشكل. أهدافهم أهداف خطيرة، أهدافهم يجري التخطيط لها ورسمها في غرف عملياتهم كما يقولون هم، فيجب أن نكون واعين يقظين.
قلت إن الأمل معقود على علماء الإسلام والمثقفين الحقيقيين في العالم الإسلامي والواجبات والمسؤوليات ملقاة على عاتقهم. يجب عليهم أن يتحدثوا مع شعوبهم ومع سياسيتهم - بعض رجال السياسة في العالم الإسلامي لهم ضمائر يقظة، وهذا ما جربناه عن قرب - ويمكنهم أن يمارسوا دوراً. ما أقوله في هذا اللقاء هو لنعترف من ذكرى ولادة الرسول الأكرم (ص) فائدة أن نركز هممنا على ما فعله الإسلام في يومه الأول وهو إحياء العالم الميت في ذلك الزمان، وهذا يحتاج إلى عقل وتعقل وتدبر وبصيرة ومعرفة العدو، لنعرف العدو، ولنعرف مؤامرات العدو، ولا ننخدع بمخادعته. ليعيننا الله تعالى وليهدنا صراطه المستقيم ويثبت أقدامنا. صدق الشاعر العربي حيث قال:

الدَّهْرُ يَقْظَانُ وَالْأَحْدَاثُ لَمْ تَنْمِ
فَمَا رُقَادُكُمْ يَا أَفْضَلَ الْأُمَمِ (٩)

عندما يستهدفكم عالم القوة والمال والعسف بكل إمكانياته فلن يكون من حقكم النوم والغفلة.
اللهم اجعلنا من السائرين على هذا الصراط المستقيم كما يرتضيه الإسلام وحياتنا الدنيا.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

- ١ - في بداية هذا اللقاء تحدث الشيخ حسن روحاني رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
- ٢ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج: ٦، ص: ٣٤٠.
- ٣ - سورة الأنفال، شطر من الآية: ٢٤.
- ٤ - سورة آل عمران، شطر من الآية: ١٤٠.
- ٥ - سورة آل عمران، شطر من الآية: ١٢٠.
- ٦ - نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٣.
- ٧ - سورة آل عمران، شطر من الآية: ١٢٠.
- ٨ - الشيخ إبراهيم الزكراكي.
- ٩ - أحمد شوقي بقليل من الاختلاف.